لذة المناجاة

طبعة خاصة

جرِّبها

تأليف **الشيخ طايس الجميلي**

تقديم **الشيخ محمد سليمان الأشقر**

إقرأ هذا الكتاب وحتماً ستتغير صلاتك نحو الأفضل!
هذا الكتاب غيّر صلاة الكثيرين!



تشكر ركاز الشيخ طايس الجميلي
على مبادرته الكريمة بالسماح بطباعة هذا الكتيب

طبعة خاصة

من اصدارات الحملة الإعلامية التاسعة لركاز ٢٠٠٨







تقديم الكتاب

بقلم الشيخ محمد سليمان الأشقر

هذه الرسالة ... من الكلم الطيب .
الكلم الطيب الذي يفتح الأبواب مُشرعة ، إلى العمل الصالح .
لا . بل المخاطب بهذا الكلم الطيب ، من يؤدي العمل ... يؤديه ميتاً ، والكلم الطيب يحييه حياة متدفقة ، تبعثها هذه الكلمات ، فتعود بها الصلوات مباركات تهز القلوب ، وتجذبها نحو ربها ومحبوبها .
" قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون "
والصلاة عمود الإسلام .
العمود الفقري، الذي تنتشر منه أضلاع الدين ، ويحمل أحشاءه، وأطرافه ورأسه. وإذا انكسر العمود الفقري فلا حركة، ولا نشاط ولا استواء، وإذا ضعف قلت الحياة بحسب ذلك. والأغذية الحية التي تقوي هذا العمود ، تمنحه الصلاة والمتانة ، هي أمثال هذا الكلم الطيب .
ليست الصلاة حركات تؤدى ، وألفاظاً تردد ، فحسب ، بل هي ماوراء ذلك : ما يقوم بالنفس من محبة وإخلاص وإنابة واستجابة ورغبة ورهبة ، وتقوى. كما صعد محمد صلى الله عليه وسلم في معراجه، إلى أن بلغ المكان والمكانة، وتقبل الهدية الكريمة.
كذلك المؤمن يصعد بمحبته وإخلاصه وإنابته ورغبته ورهبته ، التي تثيرها من مكامنها الآيات المتلوّة ، في خشوع وتأمل ، يصعد بها في معراجه ، إلى أن يبلغ المكانة ، فيسجد ويقترب ، ثم يسجد ويقترب، حتى يلقى التحيات لله... ويستعد لقبول هديته...
أكرم قول يردده اللسان ، مع أكرم حركة يؤديها إنسان ، ما يقربه إلى الحضرة بين يدي الملك... والعوائق دون ذلك كثيرة ، والمعيقون لك كثير، حسداً وبغياً وعدواً ... وغوائل الطريق كثيرة، فقد حُفت بالمكاره والصوارف ... والنفس تميل إلى الماديات والمحسوسات، واللذة العاجلة فتقف عندها وتتأبى على المسير .
وهذه الكلمات الطيبات، تكبت المعيقين وتقضي على الغوائل وتكسر الحدود، وتبعث النفوس... فاقرأ معي هذه الكلمات ... إقرأها بتصديق وإيمان ... إقرأها بمحبة واستجابة للداعي ... إقرأها وأمثالها لتحيا ... فهي مقتبسة من النور ...
والصلاة نور .. والقرآن نور .. والله نور السموات والأرض .. ورسوله سراج منير .. فاقرأها لتهتدي إلى النور .
وبعد ذلك .
سيكون لك مع الصلاة .. شأن آخر .. إنها طعم جديد ...

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الخاصة

الحمد للّه الذي بفضله تتم الصالحات والصلاة والسلام على حبيبه محمد بن عبد اللّه فخر الكائنات وعلى آله المطهرين الثقاة وأصحابه المجاهدين الهداة وعلى من سلك طريقهم ونهج منهجهم في الحياة إلى يوم الممات.

أم بعد،

فهذا الكتيب (لذة المناجاة) كان في الأصل عبارة عن مقالات صحفية نشرتها إحدى الجرائد الكويتية في السبعينات، وقد لاقت في حينها قبولا لدى القراء فتبنى أحد المحسنين طباعتها فظهرت الطبعة الأولى وتلقاها الناس بالقبول حتى لقد طبعت سبع طبعات في حد علمي إحداها مترجم إلى الأوردية وهذه الطبعة الخاصة التي تبنتها (ركاز) واستأذنتني في طباعتها فأذنت لهم بفخر وذلك لقناعتي بسمو رسالتهم وأثرهم الملموس في غرس القناعات الصائبة في وجدان شبابنا وشاباتنا مع رجائي إلى من قرأ هذه الرسالة أن يتجاوز عن الأخطاء البشرية وينبهني إلى الأخطاء الشرعية سعيا منه ومشاركة في تصحيح العمل وإحسانه وإجادته وإتقانه وضراعتي إلى اللّه أن يجعل عملي خالصا لوجهه وينفع به العباد.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً.

الشيخ طايس الجميلي

اغسطس ٢٠٠٨

قلت لصاحبي :

إن الصلاة لمن أعظم الفرائض خطراً وأكثرها أثراً وأعظمها مكانة بين أركان الإسلام ، أكد الكتاب الكريم - القرآن - الأمر بها وأوجبها مباشرة بالخطاب الصريح وبذم المفرطين فيها ، ومدح المقيمين لها وبين جزاء المحافظين عليها، وجاءت السنة المطهرة بالتفصيل ، تارة بالتعليم المباشر كما في قصة الأعرابي وتارة بطلب القدوة والتأسي ، كما في قوله عليه الصلاة والسلام (صلوا كما رأيتموني أصلي).

وهي فوق هذا كله مناجاة ودعاء واستغفار واستنصار بمن بيده الخير كله ، وله الأمر كله ، وله الخلق كله .

وهي المحطة التي يحط العابدون رحالهم فيها مستمتعين بالقرب من حضرة ملك الملوك ، فيها يجدون لذة لا تعرفها لذات الدنيا حتى أن قائلهم ليقول : لو علم أهل الدنيا ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف .

لماذا لا نحس بلذة الصلاة ؟

قال صاحبي : مالنا نؤديها ولا نحس فيها بلذة وكأنها حمل نزيحه عن كواهلنا ؟

قلت : لأننا نؤديها ناقصة غير مستوفية الشروط والأركان.

قال : وما الشروط ؟

شروط الصلاة :

قلت : طهارة الثوب والبدن والمكان ، العلم بدخول الوقت ، استقبال القبلة وستر العورة.

قال صاحبي : سبحان الله ! أتحسب أن أحداً من المصلين يجهل هذه الشروط؟ مع أن الصغار في الابتدائي يعرفونها .

قلت : لمأقصد مجرد العلم بها ، إنما قصدت إلى فقه هذه الشروط.

قال : أفدني أفادك الله .

ما ينبغي استحضاره عن كل شرط :

الطهارة :

قلت : أما الطهارة فينبغي أن يصاحبها شعورك بأنك تستعد لمقابلة عظيم ، وقد علمت احتفاء أهل الدنيا بمظاهرهم عند مقابلة عظمائهم، وعظيمنا وهو الله لا ينظر إلى الصور بل إلى البواطن والنوايا . فحين نغسل اليدين فلأنهما الجارحتان اللتان نبطش بهما وغسلهما للقاء الله فيه درس عميق في الكف عما لا يحل . ولذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (إذا توضأ العبد المسلم فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينه مع الماء أو مع آخر قطر الماء ، فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كانت بطشتها يداه مع الماء أو مع آخر قطر الماء ، فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء أو مع آخر قطر الماء حتى يخرج نقياً من الذنوب) رواه مسلم.

وهذا الحديث رواه مسلم ، فالوضوء مع الغفلة عن هذه المعاني وعن تحدث السريرة بها وانشغال الفكر فيها لا يحدث إلا معنى جامدا لا روحانية فيه . ولذلك ذكروا أن السيدة نفيسة رثت الإمام الشافعي عند موته فقالت :(رحم الله الشافعي كان والله يحسن الوضوء) .

ففي الوضوء يقظة المشاعر والأحاسيس ومع الوضوء افتقار العبد إلى نفحات المغفرة ، ومع الوضوء حوار مع اليد والعين والرجل بأن لا تعدن إلا الخطايا فينتفي العزم على المعصية ، وكفاك بها تهيئة لمقابلة الله ومناجاته ، ويالها من روحانية تشد المؤمن ويستغرق فيها بجلال الرحمة ونعيم العفو وفضل الستر .

ولعل هذه المعاني المتجمعة في الوضوء والتفاعل معها هي مراد العلماء إذ يشترطون النية في كل عبادة تمييزاً لها عن العادة التي يفعلها الإنسان دون قصد للآخرة .

دخول الوقت :

قال صاحبي : أصبت وأحسنت . فماذا يعني العلم بدخول الوقت؟

قلت : أحسبه يعني ، أيها الإنسان تنبه لرأس مالك ، تنبه لعمرك قد انسلخ منه جزء فماذا فعلت فيه؟ وهذا جزء منه قد أقبل فسل نفسك على أي شئ عزمت في استغلاله؟ فليس هناك غفلة ولا تهاون في حساب دورات الفلك.

لذلك عليك أن تتزود مما بقي من عمرك لآخرتك . ولذلك ورد في الأثر عن الحسن البصري قال : (ما من يوم ينشق فجره إلا وينادي ملك من قبل الرحمن وبلسان ذلك اليوم : " يا بن آدم أنا خلق جديد وعلى عملك شهيد فتزود مني بعمل صالح، فإني لا أعود إلى يوم القيامة " .

وفي إعلان المؤذن ونداء الصلاة معنى يمتحن فيه العبد في إيمانه ، فإن أجاب وبادر كان ممن ينادى بلطف يوم النداء الأعظم ، وناهيك به مغنماً .

استقبال القبلة :

قال صاحبي : والله ما كنت أفهم للشروط هذه المعاني وماذا يعني استقبال القبلة؟

قلت هذا من أعظم الشروط وأقواها أثراً في حس المؤمن فهو أولاً تعبير عن وحدة الأمة حول مقصد واحد واتجاه واحد ليس للبشر فيه صنعة ولا للنفس القاصرة الهمة فيه مطلب فهو من موانع الفرقة والاختلاف ، وجوالب الألفة والوفاق، وثانياً مقصود في الصلاة ليس مراده توجيه البدن، وإن كان البدن هو الضابط للنية والمعين على تحقيقها إلا أنه يقدم في الفكر وفي النفس معنى قوياً مؤداه أن البدن لم يتجه نحو القبلة إلا بانفلاته عن سائر الجهات وتخليه عن كل الجواذب والشواغل إلا وجه الله ولذلك فإن الله تبارك وتعالى أمر عباده المؤمنين بالتوجه إلى البيت الحرام الذي هو أول بيت وضع للناس في الأرض لعبادة الله فهو بهذا ملتقى أفئدة المؤمنين وأنظارهم مما يحقق المعنى أفضل تحقيق . وموضع نظر الرب سبحانه وتعالى قلب العبد فلابد من تخليته من كل الجواذب ، وتوجيهه إلى الله واستحضار هيبة الله والمذلة بين يديه والفقر إليه .

ستر العورة :

قال صاحبي : نفعك الله ، فماذا يعني ستر العورة؟

قلت : ستر العورة يا أخي هو الحد الأدنى من مظاهر التجمل ، فالقرآن الكريم أمر بني آدم بأخذ الزينة وهي حسن السمت وسن الرسول صلى الله عليه وسلم التطيب للصلاة ونهى من أكل ثوماً أو بصلاً أو أكل شيئاً ذا رائحة كريهة من إتيان المساجد .

وهذه الأوامر والسنن ذات أثر فعال في التلذذ بالمقام في معية المؤمنين وجوار الصالحين ومنها تستطيع أن تفهم ما درج عليه أصحاب الحرف من اتخاذ ثياب خاصة للصلاة .

ولعلك تتشوش في صلاتك حين يجاورك في صف الصلاة شخص تقذرت ملابسه بالزيت والطين ، هذه الصورة الظاهرة حث عليها الشرع الكريم مع أنها محط أنظار وحواس الخلق ، ومحط نظر الخالق سبحانه وتعالى هو الباطن فلابد من الحرص على ستر عورات الباطن فحين تعجبك ثيابك وعطرك وتشعر أنك ظفرت برضا من جاورك من المصلين ، أقبل على الباطن واستر عوراته التي لا يطلع عليها غير الله رب العالمين .

كيف نستر عورة الباطن ؟

قال صاحبي وكيف لي بستر عورة الباطن ؟

قلت: بالندم على التفريط في حق الله ، والحياء من الله وهو مطلع على قبائح السريرة ، والخوف من لقائه مع ما أنت عليه من العيوب والبواثق فهذه ولا شك كفارات وسواتر لعورات الباطن . ولا يزال يدقق في سوءات سلوكه ويمحوها حتى يخلص لله باطنه ويصفو من الأكدار ضميره فإن رافقه هذا الشعور وهو ينظر في أحوال نفسه لا شك سيظفر بمعاني الخشوع في استكماله لشروط صلاته .

قال صاحبي – وقد انفرجت أسارير وجهه – أفهم من كلامك أن المرء إذا اعتنى بستر عورة الجسد وهي من حق الخلق أوجبه الخالق ، فعليه أن يبالغ في ستر عورة باطنه الذي هو موقع نظر الخالق .

قلت : وهو كذلك .

الفرق بين الأركان والشروط :

قال صاحبي : ذكرت لي في المجلس السابق أن علة عدم فرحنا بصلاتنا عدم إتمام الشروط والأركان ، وقد عرفت الشروط وفقهت طرفاً من روحها فما الأركان وما الفرق بينها وبين الشروط؟

قلت : إن الشروط قد تقدمت على الدخول في الصلاة وقد يستمر لزوم بعضها حتى نهاية الصلاة.

وما المانع أن تعلم أن الشروط تنقسم إلى قسمين : شروط وجوب ومنها : الإسلام، والبلوغ ، والعقل ، فلا تجب الصلاة على كافر أو مجنون أو صغير. ومنها ما هو شروط صحة كالطهارة ودخول الوقت واستقبال القبلة وستر العورة وغيرها ...

أما الأركان فهي : التي تكون أجزاءَ رئيسة في الصلاة لا تسقط سهواً ولا عمداً كالركوع ، والسجود ، وقراءة الفاتحة ، وغيرها .

أركان الصلاة :

قال : سألتك عن الأركان لو سمحت بتعدادها .
قلت : حباً وكرامة .
أولها : تكبيرة الإحرام .
ثانيها : القيام مع القدرة – أي على القادر .
ثالثها : قراءة الفاتحة .
رابعها : الركوع والطمأنينة فيه .
خامساً : الاعتدال والطمأنينة فيه .
سادساً : السجود والطمأنينة فيه .
سابعاً : الاعتدال من السجود والطمأنينة فيه .
ثامناً : السجود الثاني والطمأنينة فيه .
تاسعاً : الاعتدال من السجود ، وتكرار هذه الأفعال في كل ركعة من كل صلاة.
عاشراً : الجلوس للتشهد الأخير.
أخيراً : السلام.

قال صاحبي : لم تزد على ما تعلمه ولدي في المدرسة المتوسطة !

فقلت : سبحان الله . قلت لك إن قصدي ليس تعليمك هذه الشروط والأركان وإنما التعاون معك على تحصيل معرفة روحها فهذه الأركان لا تزيد عن كونها حركات ذات أثر صحي من ناحية الرياضة وقد يمارس مثلها غير المسلمين سعياً وراء هذا الهدف بعد ثبوت جدواه طبياً . إنما أردت الروح التي تحيلها إلى متعة لا تعادلها متع الدنيا . لتثمر بعد ذلك ، إشراقة وسماحة في المعاملات والأخلاق .

قال : حقاً والله ، لو رزقنا بث الروح في هذه العبادة لحولت حياتنا إلى نمط جديد وخلق جديد .

لكن ما السبيل إلى ذلك ؟

قلت : إنه يسير على من يسره الله له .
اسمع مني وأنصت بقلبك فإن الحديث حديث قلوب .
فاعتدل في جلسته وأصغى بانتباه تام ، ثم قال :
تفضل هات ما عندك ...

معنى تكبيرة الإحرام

علمني فلسفة التكبير :

قلت : أعظم ما في هذه العبارة - الله أكبر - تكرارها في صلوات الفرد ١١٠ مرات في اليوم الواحد إذا اقتصر المصلي على صلاة الفرض . إن هذا التكرار لهذه العبارة لهو مصدر إلهام بتعظيم الحق جل وعلا وتحريك اللسان بها سهل إن لم تترسب في حنايا القلب معاني تعظيم الله ، فإن قالها والقلب مكذب لمعانيها كان قلبه مكذباً للسانه ، ولسانه صادقاً في الوصف إلا أن هذا صدق المنافقين اللذين قال الله عنهم (إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله . والله يعلم إنك لرسوله ، والله يشهد إن المنافقين لكاذبون) فهم في مقتضى ما نطقت به ألسنتهم صادقون إلا أن صدق اللسان لم يخرجهم من الدرك الأسفل من النار .

فما أقبح من كبر الله بلسانه وقلبه في أودية الشهوات هائم قال : آه . ولعل هذا هو السر في كثرة المصلين وقلة أثر صلاتهم في سلوكهم.

قلت : وبهذا ورد الأثر : " من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلن يزدد من الله إلا بعدا " .

وهذا التنوع من المصلين ربما أعطى المتنصلين من تكاليف الإسلام الفرصة للطعن بالصلاة وأثرها ، ومن ثم تهاون فيها من تهاون وتركها من ترك فهلك.

ثم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم علمنا :
أن الإنسان إذا قام في محرابه للصلاة لزمه أن يفرغ قلبه من الشواغل والجواذب المانعة من استقرار القلب وطمأنينته في الصلاة.

وتأسى أصحابه رضي الله عنهم بتعاليمه عليه الصلاة والسلام . وإليك هدية هاتين الواقعتين :

الواقعة الأولى : ورد أنه صلى الله عليه وسلم قال لعثمان بن طلحة (إني نسيت أن أقول لك أن تخمر القدر الذي في البيت فإنه لا ينبغي أن يكون في البيت شيء يشغل الناس عن صلاتهم) والراجح أنه قال هذا بعدما أقيمت الصلاة وسويت الصفوف ويصح الاستدلال بذلك على أن المسلم ينبغي له أن يفرغ ما في قلبه من شواغل ليصفو له ذكره ومناجاته في صلاته.

الواقعة الثانية : ما ثبت أنه عليه الصلاة والسلام خرج يشق الصفوف مسرعاً فتعلقت به أبصار الجماعة ، ثم بين لهم أنه إنما شغله مال من مال الصدقة لم يقسمه فخرج لقسمته ثم عاد .

ثم إن الكراهة اللاحقة في المساجد المزخرفة والنهي عن زخرفتها والمنع من الصلاة على قارعة الطريق ، والنهي أن يصلي الرجل في حضرة الطعام والنهي أن يصلي وهو يدافع الأخبثين البول والغائط والريح ، لما ذلك كله من التشويش على الفكر ويلحق به المنع من الصلاة في مبارك الإبل .
وندب الشرع إلى إزالة كل الأسباب الظاهرة في مكان الصلاة مما يتوقع منه التشويش ، هذه الإجراءات السابقة للصلاة . والملازمة لها مطلوبة ولابد .

واقعة الخميصة :

وهناك مشوشات يتجدد التفكر بها ما زالت موجودة فلابد من إزالتها ، وإلى ذلك تشير واقعة الخميصة (وهي نوع من الثياب) أهداها أبو جهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بها ثم نزعها وقال اذهبوا بها إلى أبي جهم، فإنها ألهتني عن صلاتي آنفا . وقضية شراك النعل التي أمر بنزعها لأن فكره تعلق وتشوش بها .
وكذلك حديث النسائي حول خاتمه صلى الله عليه وسلم حيث نزعه وقال لقد شغلني هذا ، نظرة إليه نظرة إليكم.

فهذه الإجراءات الصارمة بقلع أسباب التشويش وهي من المحبوبات الدنيوية، فلا ينفع رد الفكر عن التفكر ما دامت الأسباب قائمة .

فجدير بالمسلم الحريص على تعظيم الله في افتتاح صلاته ألا يدع منازعا ينازعه على أوثق عروة من عرى دينه .

فقال صاحبي : أراك أطلت في بحث أمر تكبيرة الإحرام فمتى الانتقال إلى الحديث عن بقية الأركان ؟

قلت : يا أخي ، ما سلمت لك التكبيرة الأولى ، وأدركت أن الله أكبر من كل ما سواه، هانت تلك الشواغل ، وعظم عندك حق الله ، وأمر الله ، ونهي الله ، وشعرت بعزة الدنيا والآخرة ، كيف لا وأنت تستند إلى الله ، وتلوذ بحماه وتزهد فيما سواه .

وهل الصلاة إلا تعظيم لله ، ولجوء إليه ، واستعانة به وافتقار وذل بين يديه، فكيف بالله تحصل لك هذه المعاني وقلبك يكذب لسانك في التكبير.

قال صاحبي: ذلك حق، فماذا ينبغي أن يحضر في قلبي عن القيام؟

القيام :

قلت : استمع إلي جيدا :

لعلك تلاحظ أن القيام أطول أركان الصلاة ، فهو أطول ركن فيها ، ولذلك فهو أعظمها خطراً وأبلغها أثراً .

فأول ما ينبغي تذكره بعدما يتفرغ المصلي من الشواغل الظاهرة ولفظ التكبيرة، يتمثل وقوفه بين يدي الله تبارك وتعالى ، فلا يرفع رأسه عند القيام بل يطرق إلى موضع سجوده ، ويلزم قلبه التواضع والتبرؤ من التعاظم والرئاسة، وليقارن – ولا مقارنة – موقفه هذا بموقفه أمام الملك أو الرئيس أو الأمير ، كم يلزم نفسه من حسن السمت وتقيد الحركة ، ودقة الانتباه ، وقلة إحداد النظر إلى ذلك المخلوق احتراماً وهيبة ، ثم لينتقل بفكره حالاً إلى مقامه هذا : بين يدي من هو يقوم ؟ وليسأل نفسه ويحاسبها عن التزامها الأدب التام أمام هذا المخلوق ثم قلة عنايتها بالوقوف في حضرة ملك الملوك سبحانه وتعالى، وليقل لها يا نفس غداً تقفين مثل هذا الموقف فماذا أنت قائلة ؟ وماذا سيقال لك ؟ وليذكرها بقول الحق سبحانه " وأما من خاف مقام ربه – مقامه بين يدي ربه – ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى " وبقوله تبارك وتعالى " ولمن خاف مقام ربه جنتاه " .

إن القيام فيه تعظيم لله . ولا يجب إلا لله . وبه ورد الحديث " من سره أن يمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار " .

ولذلك كان بعض السلف إذا قام في صلاته انتقع – أي ذهب – لونه وارتعدت فرائصه ، فقيل له في ذلك ، فقال أتدرون بين يدي من أنا قائم .. ؟ أنا قائم بين يدي العزيز الجبار.

وأثر عن بعضهم أنه كان في قيامه كأنه جذع شجرة لا حركة له . فتأتي الطيور فتقف على رأسه . !

كل هذا تأدبا وهيبة لهذا المقام فتأمل يا أخي حالك وأنت تصلح (غترتك) أو تنظر إلى ساعتك ، أو تحسب نقودك ، أو تعبث في ثيابك ، هل تفعل شيئا من هذا مثلا وأنت بحضرة وزير ؟ لا أظنك ..
فدققت النظر إلى صاحبي وإذا به يبتسم خجلاً .
قلت : مالك ؟
قال : ما أكثر ما أفعل هذه الأمور .. واخجلتاه !
قلت : لعل الله أن يتجاوز عما لم تكن تعلم فيه الحكم ، أما وقد علمت فاحذر.

معنى رفع اليدين :

قال صاحبي : نسيت أن أسألك عن سر رفع اليدين مع التكبير .
قلت : إن رفعهما وكفهما حذو المنكبين تعبير عن أنهما عضوا البطش والكسب والفعل لكنه أمام الله يكفهما بعد رفعهما إعلاناً عن الاستسلام لله ، وترك المعارضة لأوامره ونواهيه ، وإظهاراً لتمام الانقياد .
قلت : أثرت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عدة صيغ لدعاء الاستفتاح ، وكل صيغة منها نابضة بالمعاني الكبيرة والروحانية الغامرة لمن قالها بقلب حاضر وشعور كامل .

دعاء الاستفتاح :

قال صاحبي: أرجو إيراد صيغة من هذه الصيغ وتوضيحها .
قلت : حباً وكرامة .

خذ مثلا ما روى أحمد ومسلم والترمذي عن الإمام علي كرم الله وجهه : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا قام إلى الصلاة قال :
(وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين ، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ، لا شريك له وبذلك أمرت ، وأنا من المسلمين ، اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت ، أنت ربي وأنا عبدك ، ظلمت نفسي ، واعترفت بذنبي ، فاغفر لي ذنوبي جميعاً، لا يغفر إلا أنت ، وأهدني لأحسن الأخلاق ، لا يهدي لأحسنها إلا أنت ، لبيك وسعديك والخير كله في يديك والشر ليس إليك) .

ثم قلت : لعلك ترى أني لو ذهبت أشرح لك هذا الدعاء كما هو مشروح في أمهات الكتب لاحتجنا إلى مجالس ولكني أوضح لك المعاني التي لا بد أن تستقر في ذهن المصلي عند استفتاح صلاته .

من معاني دعاء الاستفتاح :

ثم إنك ترى أن هذا الدعاء قد تناول كبريات القضايا وإليك طرفا منها :
١ . الاستسلام لله والتوجه إليه وحده بالعبادة .
٢ . الاعتراف له بخلق الكون كله .
٣ . العزم بالعدول والميل عن الباطل ونفي الإشراك بكل صورة .
٤ . الإذعان التام والتنازل عن حق الحياة والممات وإنها لله وحده ، هو يصرفها على وفق مناهجه ، فليس لي مع قوله قول ، وليس لي على شرعه اعتراض .
٥ . الإعلان عن أن العبد أمر بذلك التخلي من قبل الله ، وأنه لا يشاركه في عبده أحد مهما كان .
٦ . تأكيد معنى الإسلام والانضمام إلى جماعة المسلمين .

ثم تعال لنحاسب أنفسنا ونتذاكر أحوال الغافلين عن مقاصد صلاتهم ، وانظر كيف يؤدونها ثم تأمل قوله تعالى : "فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون.." ، وإن كان في تاركي الصلاة أظهر ولكنه يشمل الذين يدخلون في صلاتهم ويخرجون منها دون أن يفقهوا من هذه المعاني شيئا .

قال صاحبي بعد أن حوقل :
هل لك أن تعطيني أمثلة على فقد هذه المعاني لدى المصلين ؟

قلت : وما أكثرها .

فقد المعاني لدى المصلين :

هل ترى الذي يخرج عن صلاته ليمارس حياة الخضوع لشهواته على حساب دينه أاستسلم لله وترك معارضته ؟

أم هل ترى من نصب نفسه إلهاً يشرع لعباد الله ما لم يأذن به الله اعترف بملكية الله للكون ؟

أم هل ترى المصر على مناهج الباطل وقوانين الأرض صادقاً في عزمه .

أم هل ترى الذي يدعو أصحاب القبور ويطوف بقبورهم ويقبل أحجارها أخلص صلاته ونسكه لله وحده ؟

أم هل ترى الذي ترك حياته للقوانين الغربية تنظمها صادقا في قوله .." ومحياي ومماتي لله رب العالمين " .

أم هل ترى الذي ينسب الأمر بهذا التجرد لله وحده ثم تراه يعصي أمر الله مع تكراره لهذا الدعاء مرات عديدة في اليوم ، هل تراه يعي ما يقول في صلاته ؟ ثم اعلم أيها الصديق العزيز أن ما تسكبه هذه المفاهيم في النفس من تحديد الوجهة ووضوح الرؤية وتوحيد جهة الأمر يسمو بهذا الإنسان سمواً فريداً فيرفعه إلى المستوى اللائق به .

وحين يفتقد الإنسان هذه المعاني في حياته لن يكون إلا كما وصفه خالقه العالم به " إن الإنسان خلق هلوعا ، إذا مسه الشر جزوعاً وإذا مسه الخير منوعا إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون " .

قال صاحبي : أفهم من كلامك أن التأمل في معاني هذه الكلمات هو روح هذه العبادة ومبناها وأساسها .

قلت : أجل .. وبه تحصل اللذة التي نفتقدها في زحمة اللهاث وراء المقاصد الهابطة التي لم يأذن بها الله .

الفاتحة :

قال صاحبي : أذكر أن الفاتحة ركن من أركان الصلاة التي تتكرر في كل ركعة ، فهل بالإمكان إعطائي من معانيها القريبة التي يجب أن تحضر أثناء قراءتها .. ؟

الاستعاذة ومعانيها :

قلت : تتقدم الفاتحة : الاستعاذة والبسملة فبهما نبدأ إذا يسر الله لنا .. ينبغي ألا يخفي عليك أن للإنسان عدوين أحدهما محسوس ندافعه بوسائلنا الممكنة ، وتتنوع تلك الوسائل بحسب قوة العدو المحسوس ودهائه ونوعية سلاحه ، فما نواجه به الإنسان والحيوان المفترس غير ما نواجه به الجهل والمرض ، وكلها قد تكون محسوسة .

وعدونا الذي نريد الدخول معه في معركة حماية الصلاة وقطف ثمرتها هو الشيطان عليه لعنة الله .

فليس لنا قدرة على منازلته إلا أن تحتمي بحمى الله الذي لا يضام . والخبيث قال متوعداً : " لأقعدن لهم صراط المستقيم " .
والصلاة هي رأس مال العبد المؤمن وإمارة الصراط المستقيم فلابد أن يسعى الشيطان إلى تضييعها علينا بكل وساوسه ومكره ، ولذلك : أمر العبد أن يستعيذ بالله عند قراءته للقرآن بقوله تعالى : " فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم " ، ومهمته في صلاة العبد أن يقول له يا فلان أذكر الأمر كذا حتى إنه ليخطر في المصلي أموراً يجهد فكره بحثاً عنها لا تخطر في باله في غير الصلاة، ولو أجهد فكره بحثاً عنها .
فإذا استعاذ العبد منه بالله تعالى صادقاً معلناً أنه لا حول له في دفعه - لأنه لا يملك أداة دفعه من الأسباب المقدرة للبشر - وقاه الله وكفاه بها ، ثم أن منها عزمك على ترك ما يريده بك عدوك إلى ما يريده منك ربك وخالقك ففي الاستعاذة بالله عزم على مطاردة النزوات والشهوات والأهواء ، المخالفة لأمر الله ونهيه .

البسملة :

قال صاحبي: فماذا أحضر في قلبي عند قراءة البسملة؟
قلت : ألم تر إلى ممثلي الرؤساء والملوك يفخرون أنهم يتكلمون بأسماء ملوكهم فيختالون على الناس ويشعرون بأنهم أداة صالحة للتحدث بلسان عظمائهم ؟
قال : بلى والله .
قلت : ويحملهم هذا على أن لا يتجاوزا دائرة الإذن لهم في التحدث ويركزوا حديثهم ويتحفظوا أيما تحفظ لئلا يقعوا تحت طائلة مسؤولية المخلوق .

ولم نجد متحدثاً باسم ملك أو رئيس أو أمير يهذي في كلامه أو يشط في ألفاظه.

فأنت أول كلامك باسم الله فلابد أن يغمرك شعور بالعزة المستمدة من عزة الله إذ موقفك من يتبرك باسمه ويخاطبه بكلامه ، فلولا فضله عليك لم تقف هذا الموقف .

ألا ترى مئات بل ألوف الناس محرومين بذنوبهم من هذا الموقف فأسعدك وخصك وأكرمك وما ذلك إلا لأنه الموصوف بالرحمة والمضاعفة ، فالرحمة صفة ذاته سبحانه ، والرحيم صفة فعله عز وجل ، سرح فكرك وأعمله في مظاهر رحمته الملازمة لأسمه ، وماذا تفيض على القريبين منه والمتشبهين بصفاته من اللين للخلق والرحمة لعباد الله فالراحمون يرحمهم الرحمن " ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء " .

ثم ابحث عن مظاهر الرحمة في سلوكك وناقش نفسك ، وقس المسافة بين صفات الله وصفاتك فإن وقفت على حقيقة ذلك فأنت أحد اثنين ، إما بعيد عن رتبة الراحمين فاسع في تحصيلها وإما قريب فاحمد الله ، واشكره ، واسأله الزيادة ، فهو القائل " لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد " ولا مانع من أن تحضر في ذهنك من صور رحمته تعالى لخلقه ما يقوي هذا الشعور.

وخذ من ذلك مثلا إجراءه الأرزاق على ضعاف مخلوقاته من غير كسب منها ولا أداة ، ولعل أقربها منك بداية خلقك وما أجره عليك من العناية والرعاية والخلق والتدبير والرزق وأنت في ظلمات الأرحام أعجز من أن تجلب لنفسك خيرا أو تدفع عنها شرا ، وكيف وضعك موضعاً مأموناً ، وأجرى لك من أسباب الغذاء والمعاش ما حفظك به في ذلك الموضع ، ثم إذا أخرجك طفلاً حنن عليك القلوب ، وأجرى لك اللبن المعقم بدرجة حرارة يحس بها الطفل باردة سائغة صيفاً ، دافئة سائغة شتاءً .. فسبحان الله العظيم .
ولو ذهبت تحدث نفسك بمظاهر الرحمة لاستغرقت في البسملة وحدها وقتاً طويلاً ، ولذلك كان الرسول صلى الله عليه وسلم إذا قرأها مد كل لفظ من ألفاظها مدة تشعر بالتأمل والفكر فيقرأ هكذا : بسم الله الرحمن الرحيم .

الحمد لله رب العالمين :

وبعد وصفه والتحدث باسمه تنسب له المحامد بقوله تعالى (الحمد لله رب العالمين).

- (فالحمد) استغراق لجنس المحامد والثناء لمستحقها وهو الله ، واحذر هنا من أن تشعر أن لأحد عليك نعمة غير مرتبطة بأسباب الله سبحانه وتعالى فينتقص بذلك حمده ويكذب ضميرك لسانك ... ، وتحضر في نفسك أن الله استحق الحمد كله لأنه مصدر الخير كله في الحياة وبعد الممات ، وإن أردت معرفة أنواع الأفضال الإلهية فاذكر نعمه المتعاقبة عليك .

- (رب) وهو المربي لخلقه ، ومن أعظم نعمه هذا القرآن وهو المنهاج التربوي الفريد ، وتربيته سبحانه لخلقه من أدواتها هذا الكون بنظمه التي يخدم بعضها بعضاً ، كل هذا لخدمة الإنسان وتكريم الإنسان ، ومن تربيته لعباده إيجاده فيهم قابلية التفريق بين التقوى والفجور ، وبين الهداية والضلال وتأهيله لهم لقبول شرعه سبحانه .
فاللهم لك الحمد حمداً كثيراً مع بقائك .
ولك الحمد حمداً لا منتهى له دون علمك .
ولك الحمد حمداً لا آخر لقائله إلا رضاك .

- (العالمين) وهو جمع عالم – والعالم اسم لما يعلم به ، كالخاتم لما يختم به وهو شامل لكل ما سوى الله سبحانه ، ثم أحضر في ذهنك ، هذه الأكوان بجملتها وتفصيلها الدالة على عظمته سبحانه وتعالى ، وبعض العلماء يرى – العالمين – يطلق ويراد به ما يعلم ويفقه ، وهو عالم الملائكة وعالم الإنس وعالم الجن وتذكر العوالم الأخرى على سبيل الاستتباع ، فعالم النبات وعظمة الله فيه إنباتاً وإزهاراً وإثماراً ، وتخصيص كل بخصيصته – يسقى بماء واحد ويثمر في تربة واحدة ، وتختلف الطعوم والروائح والألوان والفوائد ، فأي عالم هذا وأي خلق هذا ، سبحانه من إله .

وعالم الجماد وعجائبه وألوانه وخصائصه وقوانين وجوده وتستطيع يا أخي أن توسع دائرة الفكر في هذا العالم ما استكشف منه وما لم يستكشف ، وعالم البشر وتميزه عن بقية العوالم بمميزاته وتعقيده ، ويكفي أن أنبهك إلى قضية الإعجاز في خلق البشر ، هذا الإعجاز يتجلى في أنك لو ذهبت لإحصاء البشر بخمسة آلاف مليون نسمة ودققت النظر جيداً في هذا العدد الرهيب لم تجد اثنين منهم يتشابهان تماماً ، ما هذا ؟ بينما يمكنك أن تجد في عالم النبات أو بعض فصائله تشابهاً كاملاً يستحيل عندك معه أن تميز نبتة عن أخرى أو ثمرة عن أختها من ذات الفصيلة ، ويحصل مثل هذا في عالم الحيوان وعالم الجماد ، ويتعذر في عالم الإنسان التماثل رغم كثرة العدد ، لماذا ؟

اسأل نفسك ، لماذا ؟
لأن عالم البشر عالم مختلف ، تتشابك مصالحه وتتقيد تصرفاته بأوامر ونواه شرعية .

فإن وقع التشابه التام أفضى ذلك إلى ضياع الحقوق وتعطل النظام العام ، ولأوضح لك الأمر بمثال .

لو تشابه الخصم والشاهد أمام القاضي والذي بدوره يشبههم ألا يتقاذف كل منهم التهمة ، وما الدليل إذا انتفت الفوارق الخلقية على تجريم عمرو وتبرئة ساحة زيد؟

ولذلك يعتبر من الإعجاز الإلهي افتراق بلايين البصمات ، واستحالة التشابه، ولم يكن هذا مقصوراً على زمن دون زمن بل إن الله لم يخلق بصمتين متشابهتين منذ خلق آدم وذريته .

فيارب سبحانك وأنا أعيش على معنى " العالمين " أقف مذهولاً أمام قدرتك.
قال صاحبي : أذكرك بوحدة الترابط بين هذه العوالم وكيف يخدم بعضها بعضاً بأسباب البقاء والحياة ؟

قلت : حبذا
فقال : ماذا تتصور حال مادة الأوكسجين في الطبيعة المخلوقة لله ، لو استمر الأحياء باستنشاقه ألا ينضب وتتعطل الحياة .

قلت : بلى .
قال : ولكن الحكيم الخبير جعل في قانون النبات ألا تتم عملية صنع الغذاء إلا بأخذ أوكسيد الكربون والذي تطرحه الأحياء ، وطرح الأوكسجين لتنتعش به الأحياء.
فقلت : الله أكبر ، أشهد ألا إله إلا الله .

فقال صاحبي : ولكن ، إذا استعرضت كل المعاني التي فهمتها من قوله (الحمد لله رب العالمين) فلن أستطيع تجاوزها إذ يكبر الإمام راكعا فما العمل ؟

اسمع ما أقوله لك :
إن استعراضي معك لمعاني الفاتحة لا يستلزم استغراقك فيها وتقليب النظر في كل ماذكرته لك .

قال : ماذا إذن ؟
قلت : أردت أن ترد فكرك إذا خرج عن موقفك هذا إلى جزء منها أو إلى خطها العريض فهذا يكفي لتنبعث الخشية والخشوع في القلب وتحيل الصلاة إلى متعة روحية غامرة .

الرحمن الرحيم :

قال صاحبي:حسناً..فماذا علي أن أستحضر عند قراءة (الرحمن الرحيم)؟ فقلت قد قلت لك عند قراءتك للبسملة توضيح معنى (الرحمن الرحيم) ولكن ذلك لا يمنع استحضار الشعور برحمة الله الغامرة لك إذ أكرمك بنعمة الوقوف لمناجاته .

هذا من ناحية ، والناحية الأخرى أن تستحضر الرجاء القوي في رحمته بالتجاوز عن سيئاتك وألا تيأس من شموله لك بعطفه ورحمته مهما كانت ذنوبك التي أقلعت عنها ، فتهب عندها على الروح نسمة تنعش الأمل للفوز بالنجاة ، وحق لك ذلك وأنت تقرأ قوله تعالى " ورحمتي وسعت كل شئ فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الأمي " ، ثم تحاول أن تحقق من معاني رحمته في قلبك فتكون الرحمة من مظاهر سلوكك على خلق الله ، فالراحمون يرحمهم الرحمن.

مالك يوم الدين :

قال صاحبي: ماذا ينبغي أن أحضر في قلبي عند قوله " مالك يوم الدين "؟ قلت : وأما هذه فقد انطوت على أصلين هامين أولهما تعظيم الله تبارك وتعالى وثانيهما الخوف من سطوته .

قال : كيف ذلك ؟

قلت : أما التعظيم ، فلأنه يملك يوم الجزاء ، وهو يوم القيامة ، وتذكر عندها ملكية المخلوقين في هذه الدنيا ومحدوديتها عن مقابلتها بملك الله لذلك اليوم ، ولمهم أن يمر في خاطرك ويستقر في قلبك أن لك يوماً تمثل فيه بين يدي الله ، وتحاسب على الذرة ، وأدق من الذرة ، فتحقق عندك عظمة الله وقدرته ، وتنبعث الخشية والخوف من ذلك اليوم إذا استعرضت أهواله ودواهيه ، فتستعظم موقفك هذا وحق لك أن تستعظمه وأنت تقرأ أو تسمع " وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله " " يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار" "يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم " .

ثم التفت إليّ صاحبي وإذا بلونه قد ذهب، وهو يردد بصوت خفيض ، ياله من يوم، ياله من يوم ! ياله من يوم ! .

وخيم علينا صمت رهيب مشوب بلذة التفكر .
وقطع صاحبي صمته ليقول ، واضيعة العمر ، لقد كنت أصلي صلاتي ولا يخطر ببالي شئ من هذا إلا نادراً .

قلت : بم كنت تفكر وأنت تقرأ هذا؟
قال : أما تعرفه ؟!
قلت : من؟
قال : الشيطان ، لقد كان يلعب بفكري فلا تجدني إلا وجسمي في مكان وفكري في السوق ، في المكتب ، عند العيال ، أحل مسائل الحياة ، فلا أنتبه إلا على تكبيرة الإمام راكعا .
قلت : أرجو أن تكون تعلمت ، إن عدونا مخلص في عمله فهلا تعلمنا منه الإخلاص لواجبنا وأرغمناه .
قال : سأحاول ، وسأنتصر بعون الله وتوفيقه – قالها بعزم وتصميم .

إياك نعبد وإياك نستعين :

قلت : تنبه إلى تجديد التوحيد وتجريده.
قال : ماذا تعني ؟
قلت : " إياك نعبد وإياك نستعين " .
قال : أفدني . أفادك الله .
قلت : لا تغفل عن الربط بين الآيات التي تلوتها ، فالله تبارك وتعالى استحق الحمد المطلق لا تصادفه بصفات أربع ، فمن ذلك كله كونه
" رب العالمين " " الرحمن " " الرحيم " و " مالك يوم الدين " .

قال : ماعلاقة هذه الصفات والنعوت بموضع سؤالي عن المعنى الواضح لـ: "إياك نعبد وإياك نستعين " . ؟

قلت : قد ثبت لديك أن رب العالمين ومربيهم بنعمه هو الله وحده ، وأنه الرحمن ، وهذا اسم تفرد به وحده ، وأنه الرحيم وأنه مالك يوم الدين ، فإلى من يتجه العبد بعبادته وهو بين يدي من ملك هذه الأوصاف جميعا ، فاستحضار هذه المعاني وترابطها إنما يهيئ المؤمن لتجريد عبادته لله ، وإعلان انضمامه إلى ركب المؤمنين، فلا تصح صلاته ولو منفرداً إذا قرأ " نعبد " بقوله " أعبد ".

فيشعر بروح الجماعة ، ويتحدث بلسانها فيقتلع جذور الشرك من نفسه ومن نفوس المؤمنين ، ويشعر بموضعه الطبيعي على أنه عضو فيهم وجزء منهم يصيبه ما يصيبهم .

(ومثل المؤمنين ... كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى).

ولعل مما يقوي ملكة استجماع الفكر وإحضاره لفظة " إياك نعبد " فهل يخاطب بها إلا الحاضر ، ومنها ينطلق الشعور بإحسان العبادة بقوله صلى الله عليه وسلم حين سئل عنه : (الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك).

وبناء على ما تقدم نستطيع أن نجمل ما ينبغي أن يحضر في الفكر على النحو التالي:

فهو أولاً : تجديد لتوحيد الله فلا يتوجه بالعبادة إلا إليه .
ثانياً : هو إشعار بأن المعبود تباركت أسماؤه مراقب لك ، شاهد عليك ، وهو ثالثاً براءة من الكبر ومن الترؤس وشعور بالتواضع ، فهل نحن إلا عبيد له سبحانه يملكنا إيجاداً وإعداماً ورزقاً ونشوراً .

قال صاحبي : أوجز عليّ حتى احفظ عنك ما تقول .

قلت : إني لم أقل لك ماقال ابن قيم الجوزية في كتابه (مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين) حيث ألف في هذه الآية كتاباً في ثلاثة مجلدات لا يقل المجلد عن خمسمائة صفحة ، فهذه يا أخي دستور شامل لحياة المسلم ، أما الاستعانة فهي مشعرة بأن بلوغ مرتبة العبادة لا تنال إلا بمعونة من الله للعباد . فليس بمقدور العبد الوصول إلى رضا الله إلا بتوفيق الله له ، وهي دفع للمنة على الله بعباده .
" بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان " .
فتتزاح عن النفس شيطانيتها وأنانيتها برد الفضل بالتوفيق للعبادة إلى الله سبحانه.
وما لم يكن عون من الله للفتى ** فأول ما يجنى عليه اجتهاده.

قال صاحبي : قد فتحت باباً أريد التعرف على جوانب فيه مبهمة عليّ .

قلت وما ذاك ؟

قال : عباره أسمعها من البعض إذا دعوته لعبادة أو صلاة فتراه يقول – عندما يهدني الله – فكيف أفند زعمه ؟

قلت : إذا فرغنا من تحقيق معنى الخشوع في صلاتنا التفتنا إلى المفاهيم المغلوطة فصححناها بإذن الله تعالى .

قال : أرجوك ولو كلمة موجزة .

قلت : إنا لله وإنا إليه راجعون ، اسمع إذن إلى قوله تعالى : " والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم " وإلى قوله تعالى " إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى" .

فمن قبل هداية الله ومنهاجه فقد وضع قدمه على أول الطريق وأصبح بموضع يتعرض فيه لنفحات التوفيق ، ومن أدار ظهره لله وزعم أن الله لم يهده فهو طالب للهداية في غير مظانها .

فالهداية نوعان :

هداية دلالة : وهذه قد يسرها الله للناس جميعاً بإرسال الرسل وإنزال الكتب .
وهداية معونة : وهذه مبذولة لمن قبل الهداية الأولى .

أما من رد الهداية الأولى فقد أقام بينه وبين هداية المعونة سدوداً وموانع هيهات أن يظفر بنصيب إلا إذا رجع ، وما مثله ، إلا كمثل مريض يرفض مراجعة الطبيب ابتداء ولا يثق بعلم الأطباء ويطلب الشفاء وهو بعيد عن موطن التطبيب ... هل تراه يشفى ؟

قال صاحبي : لا
قلت : وهكذا صاحبك .

قال صاحبي إن هذا الحديث لا يمل ، أرجو توضيح معنى إهدنا الصراط المستقيم.
فقلت لصاحبي : لك هذا ... ، ولكن ليس الآن بل في وقت آخر نلتقي إن شاء الله ... وتفرقنا .
والتقينا وإذا بي أرى صاحبي مستبشراً .
فقلت : أراك فرحاً أدام الله فرحك .

قال : كيف لا ؟ وقد وفقت لأمرين عظيمين أولهما أني أحسست فعلاً بخشوع لذيذ في صلاتي حيث تكامل عندي أمر التوحيد وانقطع الفكر عن الشواغل السابقة.
قلت : والأمر الثاني .

قال : صديقي .
قلت : ماله . ؟
قال : لقد اهتدى وأصبح يصلي .

قلت : كيف .
قال : لقد نقلت إليه حديثك الذي ذكرته لي في لقائنا الأخير فلما انتهينا من الحديث .. استغفر الله ، وعزم على أن يتعرض لنفحات الله بقبول هدايته .
قلت : بشرك الله بالخير .
قال : وأنت .. ألا تذكر وعدك في المرة الماضية بأن تكمل لي بيان معاني الفاتحة؟
قلت : نعم أذكر ، ولك هذا الآن .

اهدنا الصراط المستقيم :

قال : وكلامنا اليوم حول مطالب العبد .
قلت : قد تقدم منها الاستعانة بالله أما اليوم فمعنا معاني كبار تحتاج إلى تشمير وجد ، فاليوم يوم الحصاد لمن زرع .
قال : ماذا تقصد بالحصاد ؟ ... وبالزرع . ؟
قلت : أما الزرع فهو التعرض لنفحات الله وتجريد توحيده وتجديده بدءا بوصفه بالكمال المطلق والإقرار بربوبيته والإيمان برحمته ، والإقرار بجبروته " الحمد لله رب العالمين " " الرحمن الرحيم " " مالك يوم الدين " إفراده باستحقاق العبادة " إياك نعبد " والتوجه إليه وحده بطلب المعونة على عبادته.

هذه كلها حق الله على العبد وهي النصف الذي أشار إليه الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي ، والذي رواه الإمام مسلم .
(قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ، نصفها لي ونصفها لعبدي ، ولعبدي ما سأل ، يقول العبد : الحمد لله رب العالمين ، فيقول الله عز وجل حمدني عبدي.. الخ الحديث) وهو معنى قوله : سمع الله لمن حمده .

قال صاحبي : أرى العلاقة واضحة بين ما أشرنا إليه في ما سبق من كلامنا من أن العبد مطلوب منه ابتداء الإقرار بربوبية الله ، وإحلاله محله اللائق بجلاله من النفس المربوبة له سبحانه ونسب صفات الكمال له وحده .

قلت : نعم هذا ما أعني بقبول هداية الدلالة مع إضافة وسائلها وقبول تلك الوسائل – الرسل والكتب – فإذا بلغ المسلم قوله تعالى " اهدنا الصراط المستقيم " أحضر في قلبه معنى عظيماً وهو أن الحق واحد وأن الطريق الموصل إليه واحد .

والباطل متعدد الوجوه ، متعدد السبل معوجها .
والتعريف الهندسي للمستقيم ، بأنه أقصر خط يصل ين نقطتين ، فالعبد هنا يسأل الله " وله ما سأل " تسديد خطاه والأخذ بيده للوصول إلى مرضاته.

قال صاحبي: هل من آية في كتاب الله تعزز هذا المعنى؟
قلت : أجل .
اسمع قوله تعالى في سورة الأنعام
" وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ". (آية ١٥٣)

والعبد في موقفه هذا يسأل الله هذه الهداية ، يناجيه بطلبها فإن لم يضم لهذه المناجاة فقه ومعرفة سبل الغواية فيعزم في الحال على رفضها والتبرؤ منها كان في سؤاله غير صادق .

ومن هنا أجزم بأن من يصلي ويتبنى في حياته منهجاً يغاير منهج الله الذي رسمه لخلقه فهو محروم من هداية الله ، بل إن صلاته مردودة .

قال صاحبي : ليتني أفهم ، كيف تكون حالة أقوام يدعون إلى الماركسية والرأسمالية أو المناهج الأرضية وهم يصلون ، يستحلون الربا والاحتكار والغش وهم يصلون.

قلت : ولذلك عرف الحق سبحانه الصراط المستقيم ، بإضافته إلى المخصوصين بنعمته وبأنه مغاير لمناهج اليهود والنصارى " صراط الذين أنعمت عليهم ، غير المغضوب عليهم ، ولا الضالين ".

فالذين أنعم الله عليهم هم النبيون والصديقين والشهداء والصالحون ، والمغضوب عليهم هم الذين عرفوا الحق وخرجوا عنه وعليه .

والضالون هم الذين لم يعرفوا الحق ولم يطلبوه ، أو لم يعرفوا الحق وقد طلبوه.

ويستذكر المصلي ويعزم عزماً أكيداً على الاستمساك بمنهج الله وبسلوك طريق النبيين والصديقين .

ويعاهد ربه ويوطن نفسه على رفض سبل المغضوب عليهم.

لا تسلك طريق اليهود :

قال صاحبي : كيف ؟

قلت : إن المؤمن إذا عرف الحق ، قبله ولو على نفسه ، ولو حرمه من بعض المنافع العاجلة وفوت عليه بعض فرص الربح الدنيوي ، فإن أصر على رفض الحق رغم تنبيهه له فقد سلك طريق اليهود ، فلا بد للنجاة من غضب الله من مغايرة هذا النوع من أخلاق المغضوب عليهم وسبلهم - وهذا المعنى شامل لدقائق الحياة وجلائلها من ملبس ، ومطعم ومكسب ولهو ، كل ما كان من أخلاق أهل الضلال والباطل فيعاهد الله وهو في مقامه على التخلي عنه .
فكل منهج غير منهج أهل النعمة من الرسل وأتباعهم على رأسه شيطان ، جني أو إنسي أو كلاهما .
ويؤيد ذلك قول الرسول عليه الصلاة والسلام الذي رواه الدارمي بسند صحيح، عن عبد الله بن مسعود ، قال : خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا ثم قال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله ثم قال : (هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليها).

قال صاحبي : هذا عهد عظيم وميثاق من لم ينتبه له لم ينتفع من صلاته .

طريق النصارى :

ثم قال صاحبي : فالضالون ؟

قلت : طريق الحق ، طريق الآخرة ، طريق الله يستحق منا أن نفني أعمارنا في معرفته وسلوكه .

فكما أن أخلاق المغضوب عليهم وفلسفاتهم ومناهجهم متعددة كلها تصد عن الحق وتبعد عنه ، فكذلك الضلال وأهله .

ولا ينقضي عجبي من أناس إذا قصدوا بلد شمروا لمعرفة لغة أهله ومناخه وتاريخه وطرقه ومحلاته واصطحبوا معهم الخرائط خوفاً من فشل رحلتهم إن جهلوا شيئاً من خصائص ذلك البلد .

مع أن مكثهم به يسير وبنفس الوقت تنتظرهم رحلة طويلة تطوي أعمارهم ويطول المكوث فيها إلى ما لا نهاية فإن حركت سواكنهم للتأمل في مسالكها ومخاطرها تقاصرت هممهم وكأنهم من الأمر في سعة .

قال صاحبي : سمعت ذات مرة إمام مسجدنا يفسر " المغضوب عليهم " باليهود " والضالين " بالنصارى .

قلت : هذا الفهم خاص باليهود والنصارى عام فيمن سواهم ممن حمل مبادئهم ونفذ مناهجهم وقلدهم في عاداتهم .

صور الضلال :

والضلال كالجنون ، فنون ، فضلال العقيدة بفساد أركان الإيمان وتصورات أهله. وضلال العبادة ، بصنوف التعبد المردود شرعاً مما لم يأذن به الله ، وضلال الأخلاق وصوره أكثر من أن تحصى ، وضلال المعاملات ، بإجرائها على خلاف شرع الله .

فالمطلوب من المصلي أن يحضر نفسه ويسألها هل تفردت وتميزت في طريقها عن طريق الضالين .

وهل بذلت من الجهد – بحثاً عن الحق – ما ينبغي؟

هذه المناجاة والمحاكاة والمعاتبات للنفس على تقصيرها هي البداية السليمة للحصول على صلاة كما وصفها القرآن الكريم " ... إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ".

قال صاحبي : وماذا ينبغي استحضاره عند قراءة ما بعد الفاتحة من آيات .

قلت : قد حوت الفاتحة مقاصد وأهداف القرآن الكريم ، وكل ما يقرأه المصلي بعد الفاتحة إنما هو شرح وتوضيح لما حوته هذه السورة فقد حوت الفاتحة نظام العقيدة والعبادة ونظام الجماعة ونظام التربية وأكدت أمر التوحيد والبعث والجزاء. ومقاصد القرآن تفصيل هذا الإجمال في سورة الفاتحة ولعل هذا هو السر في تكرارها في كل ركعة .

فقه أذكار الركوع :

قال صاحبي : وما ينبغي أن يستحضر المصلي عند الركوع؟

قلت : أليس الأولى أن نعرف كيفيته أولاً ؟

قال : أو تحسب أننا لا نعرف كيفية الركوع .

قلت : معاذ الله ، ولكن كثيراً من الناس لا يراعون الركوع الصحيح وقد يخفى على من بجواره لانشغاله بركوعه وأذكاره .

كيفية الركوع :

قال : ما الأمور التي يجب أن يراعيها الراكع ؟
قلت : منها أن يرفع يديه مع تكبيرة الركوع وأن يضع راحتيه على ركبتيه وأصابعه منشورة موجهة نحو القبلة ، وأن ينصب ركبتيه ولا يثنيهما ، وأن يكون ظهره مستوياً وأن لا يكون رأسه أخفض ولا أعلى من ظهره ، وأن يجافي مرفقيه عن جنبيه والمرأة تضم مرفقيها إلى جنبيها .

قال صاحبي : هذه جزئيات لا يبطل الركن بتركها .
قلت : لابد من الحرص عليها فهذه أفعال الصلاة التي فعلها الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأمرنا بأن نصلي كما رأيناه يصلي .

قال: حقاً، ولكن ما علاقة هذه الجزئيات بلذة المناجاة؟
قلت المطلوب : في الصلاة اليقظة والانتباه عن الغفلة والاسترخاء وهذه الكيفيات في الركوع لها أسرار ومعان أهمها أنك تشعر وأنت راكع تدير في ذهنك التأسي بالرسول صلى الله عليه وسلم في ركوعه ، والجانب العملي العصري الرياضي هو استقامة الركبتين مع استقامة الظهر مع الرقبة والرأس من أهم البواعث على يقظة الأعصاب ونشاطها واشتراك عضلات الجسد بأجمعها في الركوع والخضوع لله تعالى ، وفي حال عدم إجادة الركوع وضبطه يشعر المرء بالاسترخاء والكسل والخمول وهذه كلها تنافي معاني المناجاة المطلوبة .

قال : فما ينبغي أن يحضر في قلبه عند الركوع وأثناءه؟
قلت : يبدأ الركوع بالتكبير ، وقد مر معنا المعنى العظيم للتكبير والذي موجزه أن الله أكبر من كل ما في الوجود ونتيجة لذلك تصغر كل الخواطر والهموم إذا فقه القلب هذا المعنى ، وعند استقرارك راكعاً يتجدد معنى كبرياء الله ويتعاظم شعور العبد بالذل بين يديه ، فهذه الهامات لم تنحن لغيره ولم تخضع لسواه . ويرافق اللسان القلب والبدن شاهداً على عظمة الله بالتسبيح والتنزيه والإعلان – فبقولك– سبحان ربي العظيم وبحمده – يستقر في قلب الراكع أن الانحناء سمت تعارف عليه الناس في تعظيم عظمائهم من البشر ، والتسبيح تنزيه للرب سبحانه وتعالى عن صفات المخلوقين .

ومادة : سبح في اللغة – تعني الانطلاق للهدف بلا عائق ، فالمسبح لله ، قد تحرر من العوائق وانطلق مسرعاً إلى الحقيقة الأزلية إلى الله .

قال صاحبي : لم قال سبحان ربي ولم يقل سبحان الله ؟
قلت : إن الصلاة تربية ، ووصفه سبحانه بالربوبية في مقام الخضوع ينسجم مع هذه الصفات انسجاماً تاماً .

قال صاحبي : فما معنى إيراد الحمد هنا ؟
قلت : إننا نحمد الله ونعبده لا لمجرد الإنعام بل لأنه متصف بصفات الكمال الذاتي .

وتثنية التسبيح وتثليثه والزيادة عن ذلك توكيد واستغراق بمعاني عظمة الرب تبارك وتعالى ، فإذا فرغ المصلي من ركوعه اعتدل قائلاً (سمع الله لمن حمده) في قراءة الفاتحة ، وراقبه وهو يسبح بحمده راكعاً ، فهو تقرير لمعنى. (فإن لم تكن تراه فإنه يراك) .
يا للهول ! أنه يراك ويسمعك وينصت إليك ومطلع عليك ، فكيف تغفل وأنت تخاطبه وهو مقبل عليك ، فعلى هذا يكون قولك (ربنا لك الحمد ملء السماوات وملء الأرض وملء ما شئت من شيئا بعد أهل الثناء والمجد ، أحق ما قال العبد – وكلنا لك عبد – اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد) ويأتي بعد ذلك كله النزول إلى السجود ليتناسب منتهى الذل والتواضع لمن هذه صفاته وهذه عظمته .

السجود :

ولسان الحال يقول : ما وفيت حقك في الركوع فأنا بين يديك يا مالكي أضع أعز ما في جسمي – جبهتي الشامخة على الأرض موضع الأقدام ولن أوفيك حقك فكل ذرة في هذا الكيان من خلقك وصنعك وكل معروف ونعمة منك وحدك ، لينطلق التسبيح من جديد ولكن بصيغة تصف الرب بالعلو مع تمكين الجبهة والأنف من الأرض.

وعندها تقتلع جذور الكبرياء من نفسك اقتلاعاً ، فلا تعاظم ولا تطاول ، إنها كذلك لله وحده لا لسواه . بل الآن وفي السجود قهر للشيطان وإرضاء للرحمن برد الأمور إلى وضعها الطبيعي فأنت من التراب وإليه تعود فانتهى التزييف وانجلت الحقيقة وصدقت العبودية للمعبود الحق .

فحين تقول سبحان ربي الأعلى وبحمده كأنك تقرر في قرارة نفسك أنك مع ما أنت عليه من هيئة التذلل لله والمسكنة أعجز من أن تبلغ التواضع اللائق بعلوه سبحانه وتعالى .

ومن هنا كان (أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد) ، ومن هنا كان دعاء الساجدين لا يرد فأكثر فيه الدعاء ، فتثني وتثلث التسبيح تأكيداً وإعلاناً فترفع رأسك داعياً بقولك" رب اغفر وارحم واعف وتكرم وتجاوز عما تعلم" أو ما شئت من الدعاء .
وبتكرار السجود تكرار للحقيقة وتأكيد لطلب القرب ، وافتراق عن صور تعظيم أهل الدنيا .

قال صاحبي : أوليس للسجود هيئات تراعى كما ذكرت في الركوع؟
قلت : بلى

قال : وما تلك؟
قلت : أن يضع جبهته وأنفه على الأرض وأن يجافي (يباعد) مرفقيه عن جنبيه، ويرفع بطنه عن فخديه (عدا المرأة) ويفرج بين ركبتيه ، وينصب ويجمع قدميه، ويبسط أصابعه على الأرض، ويضم الإبهام إليها، ولا يضع ذراعيه على الأرض بل الكفين فقط .
ولا يخفى عليك ما في هذه الهيئات من التناسق والانسجام ، وقد ذكر أطباء العلاج الطبيعي أسرار وعجائب لهذه الهيئات.

قال صاحبي : فماذا ينبغي تصوره عند جلوس التشهد؟
قلت : فإذا فرغ من السجود الثاني كرر ما ذكرناه وعاشه في وجدانه في صلاته كلها .

جلوس التشهد :

فإذا فرغ من سجوده الأخير من كل صلاة جلس على وركه الأيسر ويضجع رجله اليسرى خارجة إلى جهة اليمين من تحت ساقه اليمنى وينصب قدمه اليمنى وإبهامه إلى جهة القبلة – إذا لم يشق عليه – (ويلاحظ أنه في التشهد الأول يجلس على قدمه اليسرى وينصب اليمنى) ويقبض أصابع يده اليمنى عدا السبابة فيشير بها وكفه اليسرى على فخده اليسرى وينظر إلى موضع سجوده أو سبابته.

قال صاحبي : لقد بدأت أتصور في التشهد الأخير تصورات عظيمة مدارها تقديم عظيم الصفات لله وأتمنى لو تخبرني عن صحة تصوراتي .

قلت : هو كما تتصور ، ولكن بشئ من التفصيل .

قال : وذلك ما أريده .

فقه التشهد :

قلت : قد لاحظت ما أودع الله في جسم الإنسان من مرونة الحركة ، مما أكسب هذا الكائن قدرات على التحرك في كل اتجاه والتكيف وفق مقتضيات مصالحه الذاتية .

قال : حقاً ، ربما لا يملك غير الإنسان من الكائنات هذه الإمكانات ، ولعل مرد ذلك أن حاجاتها قليلة وتكاليفها أقل .

قلت : وهي مع ذلك غير مكلفة بأية عبادة ، وعلى قدر النعمة يجب الشكر . والإنسان كما تلاحظ في الصلاة عبد الله قائما وهذه نعمة تستحق الشكر (أعني انتصاب قامته) وكان لهذه الهيئة – القيام – ضروب من الأذكار، ثم عبده راكعاً وهذه نعمة، وللركوع كما مرت معك – أذكاره –، وخضع له ساجداً.

وهو الآن بحضرته سبحانه مستقراً جالساً ... متمكناً فقد مثل دور الإنسان في قيامه ، ودور الحيوان في مسيره ودور الجماد في ارتمائه على الأرض فجمع في صلاته خصائص الكائنات وانفرد بجلوسه مستقراً .
وهل الإنسان إلا جامع في تكوينه لهذه الخصائص الجمادية والنباتية والحيوانية والإنسانية .
ولكل من هذه الكائنات تسبيح لله وإعلان عن وحدانيته "ولكن لا تفقهون تسبيحهم".

قال صاحبي : سبحان الله ، ما أشقى الإنسان الغافل الذاهل عن هذه الحقائق وما أتعسه إذ يحصر نفسه في خصيصة واحدة من هذه الخصائص ، وما أكرمه وما أعظمه وهو يمثل ما في الكون ويسيره بأمر الله ، وصدق الشاعر:

دواؤك فيك ولا تشعر ** وداؤك منك ولا تبصر

وتزعم أنك جرم صغير ** وفيك انطوى العالم الأكبر

قلت : لنعد إلى أذكار التشهد وما تحويه من معاني تغرق المتأمل في فيوضات من المشاعر والخواطر السامية .

التحيات :

قال : هيا ، قل ما معنى التحيات لله .
قلت : ذهب العلماء فيها إلى معان متعددة منها .
السلام ، ومنها البقاء ، ومنها العظمة ، ومنها السلامة من الآفات والنقص ، واختار البغوي التعظيم .
وقال المحب الطبري : يحتمل أن يكون المراد شمول المعاني المتقدمة جميعاً، فعلى هذا يكون قولنا :
التحيات : السلام ، والبقاء ، والعظمة ، والسلامة مما توصف به المخلوقات فتأمل في هذه المعاني - فالله ، هو السلام ومنه السلام وإليه يعود السلام ، والله هو الباقي، وهو الأول وهو الآخر، وهو الوارث، والله هو العظيم.

فلا نسبة بين عظمته وعظمة المخلوقين المحكوم عليهم بالفناء والزوال ، والله هو المنزه عن كل عيب ونقص .

الصلوات :

قال صاحبي : فما الصلوات؟

يا أخي ، الصلاة لغة : الدعاء ، واصطلاحاً هي العبادة المخصوصة التي نعرفها اليوم .
ووردت هنا بلفظ الجمع إشارة إلى أن كافة أنواع الصلاة من دعاء واستغفار وعبادة إنما الذي يستحقها حقيقة هو الله لا أحد سواه .

قال : هل هذا الكلام من المصدر الذي أشرت إليه؟
قلت: تقريباً، إلا أنه فصل وأورد أقوال العلماء والفهوم المحتملة فقد قال في الفتح: (قيل : المراد الصلوات الخمس ، أو هو أعم من ذلك ، من الفرائض والنوافل في كل شريعة ، وقيل : المراد العبادات كلها ، وقيل : الدعوات ، وقيل: المراد الرحمة) وكما ترى المعاني متقاربة .
المهم عندي : أن تشعر في مجلسك هذا أن أنواع القرب والطاعات لا يتوجه بها إلا إلى الله ، فهو سبحانه أهل لها دون سواه .

الطيبات :

قال صاحبي : حسناً ، ما الطيبات؟
قلت : ما طاب من الكلام وحسن أن يثني على الله به ، ولعل ما طاب من القول والعمل ينبغي أن يكون لله وحده ، وهذه إشارة إلى الأعمال الصالحة وضرورة تصحيح القصد فيها .

قال صاحبي : فماذا ينبغي أن يحضر عند قولنا : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ؟

السلام على النبي صلى الله عليه وسلم :

قلت : إن مقام القرب هذا الذي نحن به لم يكن ليصل إلينا لولا بعثة محمد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وفضل الأنبياء على أتباعهم .
وتقر عينك حين تعلم أنه عليه الصلاة والسلام يسمع سلامك هذا ويرد عليه بخير منه ، ومن كان هذا حاله ، يسلم على أشرف الخلق ويتلقى منه الرد - حري أن يستبشر ولا يغفل عن هذه النعمة الموصولة والمنة الكبيرة .

السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين :

قال صاحبي : فماذا ينبغي أن يحضر في ذهن المصلي عند قوله : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ؟

قلت : هنا معنى يربط الفرد المسلم بالركب الناجي من الرسل وأتباعهم ممن سعدوا برضوان الله وساروا على نهجه ، ويكفي الإنسان المسلم شرفاً أنه لم يكن مبتوت الصلة كحال الأشقياء الذي لا يعرفون غير ذواتهم .
ففرق بين نسب المؤمن الموغل في العراقة ، ونسب الملحد الذي لا يشعر بوجوده أحد ولا يسلم عليه أحد .

فأنت حين تسلم على عباد الله الصالحين وقد ابتدأت بنفسك ، تنظر موقعك من ركب الصالحين ، فبقدر ما تملك من مؤهلات الصلاح يحصل لك من بركات الرفقة الآمنة المنجية ، فيتأصل في النفس حب الصلاح وأهله .
وهل يخذل العبد إلا رفقة السوء وخلان الهوى فكيف برفقة النبيين والصديقين والشهداء ، وحسن أولئك رفيقا .

تجديد العقد :

وترى يا أخي بعد ذلك ، أن العقد الذي أكسبك حب هؤلاء الصالحين هو التوحيد ولذلك ترجع لتجدد هذا العقد .. فتعلن قائلاً : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله .. ومعلوم معنى الشهادة .

الشهادة :

قال : ما معنى الشهادة؟
قلت : معناها ، أقر وأعترف بأن الله وحده لا شريك له ، هو وحده المستحق للحب والطاعة ، لا سواه ، وأن محمداً عبده ورسوله هو المصدر الوحيد لما آخذ وما أرد، فلا أقبل عرفاً ولا عادة ولا تقليداً يخالف أمر الله ورسوله ، وتشعر عند هذه الشهادة أنها منهاجك وقانونك ودستورك ، وعندئذ تنجو ويسلم لك التوحيد .

وعندما وصلت إلى نهاية حديثي كان البِشر بادياً على وجه صاحبي والسرور، ولكنه رآني أتصنع له البشاشة فقال :

مالي أرى عليك الحزن والكآبة؟

قلت : لا شيء، إنما تذكرت حال بعض السلف وقد كانت له كآبة يسميها كآبة الصلاة.

قال صاحبي : ما مبعث اكتئابهم؟
قلت : لقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم صحابياً وأوصاه أن يصلي صلاة مودع، فربما كانت هذه آخر صلاة ، إذ كثيراً ما تختطف الآجال أناساً على حين غفلة منهم ، فإذا فارق الدنيا بصلاته الناقصة مع علمه أن أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة الصلاة ، فما عذره ، وما قوله لربه؟

قال صاحبي : أوه !
قلت : وما أوه هذه؟

قال: ذكرت أناساً سابقاً يفارقون الدنيا ولم يركعوا لله ركعة.
قلت : غفر اللّه لهم، هؤلاء اختلف العلماء في جواز الصلاة عليهم وبقائهم على الإسلام، فحالهم خطيرة، نسأل اللّه السلامة.

قال : بالمناسبة ، كثير من الناس لا يعرف صلاة الجنازة فهل إلى بيانها من سبيل.
قلت : أجل ، حباً وكرامة ، ولكن دعنا نفرغ من بيان الصلاة على النبي صلى اللّه عليه وسلم.

الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم :

قال صاحبي : أريد أن أسألك ، هل الصلاة على النبي في التشهد الأخير ركن من أركان الصلاة؟

قلت : اختلف العلماء في ركنيتها وذهب الشافعية والحنابلة إلى أنها ركن.

ولكن يبدو لي والله أعلم أن تاركها عمداً يلحقه الذم ، لقوله صلى الله عليه وسلم، البخيل من ذكرت عنده ولم يصلِ عليّ ، وقد علمت أن آخر كلام المصلي الشهادتان (أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهدَ أن محمداً عبده ورسوله).

إذاً يوصف بالبخل من ذكر الرسول عليه الصلاة والسلام ولم يصلِ عليه.

قال صاحبي : وعلى هذا فإني أحمد الله إذ ما من مسلم مصلِ إلا وهو يصلي على النبي في تشهده الأخير .

قلت : وهذا ما أنا عليه ولله الحمد .

قال : وضح رحمك الله معنى (اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد).
فالأمر عندي مشكل ، كيف يصلي الله على محمد عليه الصلاة والسلام؟

قلت : إن صلاة الله جل وعلا لها معنى ، وصلاة الملائكة لها معنى مغاير لصلاة الله ، وصلاة المؤمنين تختلف في المعنى عن صلاة الله وصلاة الملائكة.

قال : هذا الذي أريد معرفته .

قلت : أما الصلاة من الله فمعناها الرحمة والرضوان ، ومن الملائكة الدعاء والاستغفار ، ومن الأمة الدعاء والتعظيم .

فلقد قال الله تعالى " إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما " .
فسأل الصحابة النبي صلى الله عليه وسلم قائلين : إن الله أمرنا أن نصلي عليك فكيف نصلي؟ فقال لهم مقالتك (موضوع الحديث).

قال صاحبي : هذا الفهم للمعنى جيد ، فماذا ينبغي أن يحضر المصلي في قلبه من المعاني عند هذه الصلاة .

لوازم الصلاة على النبي صلى اللّه عليه وسلم :

قلت : يستشعر في قلبه أنه لم يبلغ ما بلغه من القرب من الله والهداية إلى صراطه المستقيم إلا بفضل هذا النبي عليه الصلاة والسلام .
فمقامه عظيم ، وقد قلنا أن صلاتنا عليه دعاء وتعظيم ففيهما لفت للقلب إلى طاعته وحبه وتعظيمه وتجنب معصيته ، ووجوب امتثال أمره ، إذ كيف يعقل أن ندعي حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيمه ثم نخالف أمره؟

والمحب كما علمت (لمن يحب مطيع)

أما آله صلى اللّه عليه وسلم ، فهم أتباعه عموماً ، وأهل بيته خصوصاً ، فالدعاء لهم ، وتعظيم مقامهم، ومحاولة التشبث بهم بربط وجدان المسلم بنماذج للكمال البشري الممكن .
فأولى الناس بالرجل أتباعه ولذلك قال الله عز و جل " إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه " .
ومن صلى على النبي وكره أحد من أهل بيته أو صحابته الذي مات وهو عنهم راض فقد كذب في صلاته هذه .

قال صاحبي : هل يشمل الأمر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم؟

قلت : هذا أمر لا يحتاج إلى سؤال فالعرف اللغوي والقرآني أشار بوضوح إلى هذا المعنى .
قال تعالى " وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها " .

قال صاحبي : جزاك الله خيرا ، فما علة الربط في قوله مشبها (كما صليت على إبراهيم)؟

قلت : لا نزاع في أن محمداً صلى الله عليه وسلم أفضل الخلق عند الله ، وأنه أول من تنشق الأرض عنه وأول شافع وأول مشفع وفضائله لا تعد ولا تحصى ، وإبراهيم عليه الصلاة والسلام قد أتم الله له النعمة ، واتخذه خليلا، ولاقى في سبيل الله من ضروب التضحية بالأهل والوطن والنفس ، وأن له لسان صدق في الآخرين .

كما أن محمداً صلى الله عليه وسلم وأمته على ملة إبراهيم حنفاء (مائلين عن الباطل طالبين للحق) فلا يعني ذلك أن المشبه أقل منزلة من المشبه به، وهو كما لا يخفى عليك ربط لهذه الأمة بطلائع الحق والهدى من آل إبراهيم المسمى (بأبي الأنبياء) وقد قلت لك سابقاً أن أصالة المسلم ضاربة في عمق التاريخ .

إنك حميد مجيد :

قال صاحبي : فما معنى إنك حميد مجيد؟

قلت: الحميد، هو محمود الأفعال مستحق لجميع المحامد
(نيل الأوطار جـ ٢ صـ ٣٢٣)

قال : المتصف بالمجد ، وهو كمال الشرف والكرم والصفات المحمودة .

وبارك :

قال صاحبي : فما معنى (البركة) ؟

قلت : معناها : الثبوت والدوام ، أي أدِم شرفه وكرامته وتعظيمه.

قال صاحبي : سمعت أن هناك أدعية يدعو بها المصلي عقب الصلاة هذه وقبل السلام فما هذه الأدعية ؟

قلت : بل أوصى النبي صلى الله عليه وسلم بأن يدعو بأشياء ويعوذ بالله من أشياء.

قال : فبم يدعوا ؟

قلت : بل قل أولاً مم يتعوذ ؟

مم يتعوذ المصلي ؟

قال : مم تعوذ ؟ ولكن ما السر في تقديمك للتعوذ على الدعاء والطلب ؟

قلت : هكذا أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أنه من المسلمات والقواعد الأصولية. أن (دفع المفسدة مقدم على جلب المصلحة).
والآن دعني أجبك على سؤالك (مم يتعوذ) ... ولقد كفاني النص الذي أحفظه مؤونة التفصيل ، فقد قال المصطفى عليه الصلاة والسلام : (إذا فرغ أحدكم من التشهد الأخير ليتعوذ بالله أربع : من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن شر المسيح الدجال) رواه مسلم ، وظاهر الأمر الوجوب .

بم تدعو ؟

قال صاحبي : فبم ندعو؟

قلت : لذلك روايات كثيرة وهذا حديث عمار بن ياسر وفي سياقه قال : أما أني دعوت بدعاء كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو به: اللهم بعلمك الغيب الغيب ، وقدرتك على الخلق أحييني ما علمت الحياة خيراً لي ، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي ، أسألك خشيتك في الغيب والشهادة ، وكلمة الحق في الغضب والرضا ، والقصد في الفقر والغنى ، ولذة النظر إلى وجهك الكريم ، والشوق إلى لقائك من غير ضراء مضرة ، ولا فتنة مضلة ، اللهم زينا بزينة الإيمان ، واجعلنا هداة مهتدين. رواه أحمد .

فنظرت إلى صاحبي وإذا به خاشع دامع العين .

فقال لي: هذا الدعاء جامع لن أتركه بعد اليوم إن شاء الله.

صلاة الجنازة :

قال صاحبي : الآن وقد انتهى حديثنا عن الصلاة المفروضة ، أرجو أن تفي بوعدك لي بتعليمي صلاة الجنازة ، إذ أني وكثيرين غيري يحرجون في المقبرة عند القيام لأداء صلاة الجنازة ، ولو علمت ما حدث معي في إحدى المرات لقدمت الحديث عنها فأفدتني وأفدت غيري .

قلت : وما الذي حصل ؟

قال : وقفت في الصف لأعرف ماذا أقول .. إلا أني كنت أسبح واحمد الله واسترجع.. والأغرب من هذا أن أحداً من المصلين بجواري سألني قائلاً : ماذا كنت تقول في صلاتك ؟

فعزمت ألا أدخل صف الصلاة للجنازة قبل أن أتعلمها .

قلت : ماذا تحب أن تعرف عنها ؟

قال : أولاً ، ما حكمها ؟ وما حكمتها ؟
ثانياً : ما أركانها ؟ وما شروطها ؟
ثالثاً : كيف تؤدى ، وما أذكارها ؟
رابعاً : ماذا ينبغي أن يحضر في القلب عند أدائها ؟

حكمها :

قلت : حكمها فرض كفاية .
قال : ما فرض الكفاية ؟ وهل هناك نوع آخر للفرض ؟
قلت : أجل .. الفروض منها فرض عين ، وهو : الفرض الذي لا يسقط إلا إذا أداه بنفسه ، كالصلاة والزكاة والحج والصوم ، والوظائف التي تناط بالإنسان مما لا يجزئ غيره فيها .

فرض الكفاية :

وفرض الكفاية هو : ذلك الذي يسقط عن الإنسان إذا قام به غيره ، ويأثم الجميع إذا لم يؤد .

قال : أرجو توضيح النقطة الأخيرة بمثال .

فقلت : لو مات مسلم في بلدة ولم يصل عليه أحد أثم أهل البلدة جميعاً إذا كانوا عالمين بترك هذا الفرض .. مثله تعلم العلوم الضَرورية كالطب والهندسة والرياضيات، لو لم يتعلم هذه العلوم أحد لأثم المجتمع كله .. ومثله حماية أرض المسلمين إذا لم تستطيع الجيوش النظامية حمايتها لوجب على الأمة أن ينفر منها من يكفي لصد العدوان ولو أدى إلى نفير الأمة كلها .

قال : كأنك تعني أن المسلمون اليوم آثمون .

قلت : أجل الكل آثِم حتى أنا .

قال : الآن علمت فرض الكفاية ، وأريد منك دليل فرضيتها .

قلت : روى مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إن أخا لكم قد مات فقوموا فصلوا عليه).
والأمر للوجوب ولا صارف ولا قرينة . ومداومة الرسول عليه الصلاة والسلام على الصلاة على من مات من المؤمنين كما تدل الآية " ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ".

حكمتها :

أما حكمتها والله أعلم ، أن الرابطة الأخوية بين المؤمنين ممتدة إلى ما بعد الموت والمصلون شفعاء عند الله لهذا المسلم الذي انقطعت أعماله ، وأقبل على مواجهة ما قدم .
فهو الآن في أمس الحاجة إلى دعوة صالحة .
ثم إن هذه الوقفة المتأملة الخاشعة المعاينة لنهاية الإنسان الساكن أمام الجماعة بلا حراك لهو درس لا ينسى ، يتلقاه المسلم في هذه المواضع ، يستأنف مسيرته إلى الله بعيداً عن التشويش الذي تمليه الحياة المادية ليفسد ذوقه ويدمر إنسانيته.

ولذلك ورد في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من شهد الجنازة حتى يصلي عليها فله قيراط ، ومن شهدها حتى تدفن فله قيراطان، قيل وما القيراطان ؟ قال : مثل الجبلين العظيمين).

قال صاحبي : ومن لم يشهد الجنازة ولم يشيعها فماذا له؟ قلت سقط عنه الفرض ولا شيء له ، وفاز بالمغنم غيره .

أركانها :

قال صاحبي : ما أركانها؟

قلت : القيام والتكبيرات الأربع ، وقراءة الفاتحة والصلاة على النبي والدعاء للميت والسلام .

قال صاحبي : وما شروطهما؟

قلت : أما الشروط فمنها ما يتصل بالمصلي ، وهي شروط صحة الصلاة التي مر معنا ذكرها في بداية حديثنا .
فلا حاجة لإعادتها .. ومنها ما يتصل بالميت نفسه .

قال : ما تلك الشروط التي تتصل بالميت ؟

قلت أولاً : أن يكون الميت مسلماً ، فلا تجوز الصلاة على الكافر لقوله تعالى (ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره ، إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون).
ثانياً : أن يكون قد غسل أو يمم، والشهيد لا يغسل.

قال : جزاك الله خيراً ، فكيف تؤدى صلاة الجنازة .

كيفية وقوف المصلي :

قلت يقف المصلي مستقبل القبلة .. قبالة صدر الميت الذكر ، أو قبالة وسط الجثمان للأنثى ، وينوي صلاة الجنازة على هذا الميت .. ثم يكبر رافعاً يديه ويقرأ الفاتحة . ثم يكبر التكبيرة الثانية ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم .. ثم يكبر التكبيرة الثالثة .. ويدعو للميت ، ثم يكبر التكبيرة الرابعة ويدعو للمسلمين.. ويسلم بعد ذلك .

قال صاحبي : ماذا في الصلاة على النبي ؟

قلت : يقول ما يقوله في التشهد في الصلاة العادية .

قال : كيف يدعوا للميت ؟

قلت : قد وردت صيغ متعددة للدعاء للميت أشملها ما أخرجه مسلم عن عوف بن مالك قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على جنازة قال (اللهم اغفر له، وارحمه ، واعف عنه ، وعافه ، وأكرم نزله ، ووسع مدخله ، واغسله بماء وثلج وبرد، ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، أبدله داراً خيراً من داره ، وأهلاً خيراً من أهله ، وزوجاً خيراً من زوجه ، وقه فتنة عذاب القبر وعذاب النار) قال عوف : فتمنيت أن لو كنت أنا الميت لدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك الميت .

هذه يا أخي أذكار صلاة الجنازة وكيفيتها ، وأهم ما ينبغي التنبيه عليه : وجوب الإخلاص في الدعاء ، لقوله صلى الله عليه وسلم (إذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء).

قال صاحبي: جزاك الله خيراً وسأظل منتفعاً بما بينت لي.

ولله الحمد والمنة .. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

جدول لقاءات ركاز في حملتها التاسعة



الأسواق والمجمعات التجارية			
اليوم	**الساعة**	**المكان**	**الضيوف**
الخميس 9/4	9:30 مساءً	مجمع البحر سنتر – حولي	**الشيخ سليمان الجبيلان - د. محمد العوضي**
الجمعة 9/5	9:30 مساءً	منتجع سليل – الجهراء	**الشيخ سلطان الدغيلبي (بوزقم) - د. محمد العوضي**
الخميس 9/11	9:30 مساءً	سوق شرق	**الشيخ نبيل العوضي - الشيخ مشاري الخراز**
الجمعة 9/12	9:30 مساءً	مجمع الكوت – الفحيحيل	**د . عبد المحسن الأحمد - الشيخ أحمد الدبوس**
الخميس 9/18	9:30 مساءً	سوق شرق	**الشيخ مشاري العفاسي - د. محمد العوضي**


الجبيلان


د . العوضي


العفاسي


د . الأحمد


العوضي


الدبوس


بوزقم



تابعوا المستجدات للفعاليات عبر موقعنا rekaaz.com

لذة الطاعة

جرِّبها
















